

ميسره الدندراوي

حارس

تأثير البصلة



مشهد افتتاحي

نهار - داخلي

مقر المقدس آمون - مدينة واست

الرابع عشر من ختي عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين قبل
الميلاد

- إذن فأنت لا تعتقد أن الملك الشاب مات بسبب المرض.

رفع آمون صوته الجهوري من فوق عرشه الذهبي، ثم نظر حوله
وقال دون أن ينظر إلي:

- ما رأيكم يا مجلس المستشارين؟

نظرت باستيت إلي بنظراتها الملتوية الساحرة.

النظرات إلي لا تخفي ولها قديقا، وإعجابا مغلقا بالحد.

- أنت سمعت ما قاله أنبو يا سيدنا..

ثم غمزت بعينيها في الخفاء وقالت:

- ولا أحد يعرف مثل أنبو.

أطلق آمون ضحكة ساخرة عالية مجلجلة، لا تناسب أبدا خطورة
الموقف الذي كنا فيه.

- أراك تضحك يا سيد المجلس .. ولا تدرك خطورة ما نحن

مقبلون عليه.

التفت بكامل وجهي وعلى عيني نظرة لائمة إلى ماعت، الجالسة فوق كرسيها الخشبي، وعلى رأسها تلجها الفضي، المزين بريشة النعامة السوداء.

بينما همست بالكلمات داخل عقلي حتى تسمعها بوضوح:

- توقف عن قراءة أفكاري يا بنت العم.

- توقف أنت عن كتم أفكارك .. وانطق بالحقيقة.

- فليجلس أنبو المبارك .. وليخبرنا بأسباب ادعائه إذن .. حتى نعرف كيف نحكم في الأمر.

جلست فوق المقعد الحجري، وأرحت عصاي ذات الرأسين إلى جوارتي، وبجوارها كيس القماش الخشن، ثم قلت بهدوء:

- الملك توت قتل ثلاث مرات .. مرة بمحاولة تسميمه البطيئة منذ ستة أشهر .. حتى أن النبتة الملعونة تركت آثارها في أمعائه الداكنة .. ثم مرة أخرى بضربه على رأسه بقطعة معدن صغيرة.. وإتلاف جزء كبير من مخه.. مما جعله يخرف في أواخر أيامه ثم المحاولة الأخيرة التي أنهت حياته برمي حية أسفل فراشه الملكي وعندما حل الليل. شعرت الحية بحرارة الجسم الوحيد حولها فخرجت من تحت الفراش. ولدغته في صدره المحموم الحار. وأنهت حياته للأبد.

ثم صمت كاني قبر مغلق.

وبعد الصمت، رحت ألته لالتقط أنفاسي، بينما آمون ينظر إلي
مسندًا ذقنه على قبضة يده، ثم قال في هدوء:

- إذن فلنأت بـ إمت نفرت .. الخائنة التي خانت أملة خدمة مليكها
المقدس.

نظرت له في برود:

- وما علاقة إمت نفرت بالأمر.

فاجلني رع من بين أسنانه:

- لأنها خادمتة ومربيته .. وهي الوحيدة التي يمكنها أن تدخل
جناحه الملكي حاملة في سلة طعامها ثعبانًا مميتًا.

- حية يا عماه .. حية وليست ثعبانًا.

نظر لي في سخط، بينما قالت ماعت معقبة:

- هناك خمسة حراس على الباب .. وثلاث خدام .. وطبيب القصر ..
وزوجته .. ووزيره الأول خبرو أي .. وكلهم يمكنهم الدخول إلى
جناحه بقطيع من الجاموس وليس فقط بسلة من الخوص تنام بها
حية ..

نظرت لها هذه المرة نظرة امتنان وإعجاب، فنظرت إلي وعقلها يبت
لي إشاراته:

- لا تستجب لهم .. إنهم يدبرون أمراً.

نظرت من جديد إلى آمون ورع، المتجاورين في صدر القاعة، ثم قلت:

- من حاول قتل الملك بإتلاف مخه رجل بالغ .. يملك كتلة عضلية جيدة.. ويده اليسرى تعمل أفضل من يده اليمنى .. فيستحيل أن تكون إست نفرت .. أو أي من حرامه أو زوجته كلهم يستخدمون اليمنى لا اليسرى بينما شخص واحد فقط يستخدم يده اليسرى فقط وهو ممسك بالسيف والحرية شخص يعرفه كل الجالسين في هذه القاعة شخص نسب نفسه لحب حور المنتقم الشريف لكنه خسيس خلن.

ثم درت بوجهي في وجوههم المهمة المتحركة، وتابعت:

- أما النبتة المسمومة .. فلا يتدر على تجفيفها وإذابتها في طعامه سوى خيميائي ماهر أو طبيب ذكي يعرف كيف يصنع العقاقير.. وهو ما لا يتوفر إلا في شخصين من حاشيته .. أحدهما طبيب القصر .. والثاني تعلم تركيبها على يد تحوتي شخصياً ..

ثم نظرت إلى عيني آمون مباشرة وتابعت:

- خبرو أي ..

ثم صمت، وكأنني مؤد في فرقة رقص أمتعد لأداء حركتي الأخيرة التي مستثير عاصفة التصفيق، وقلت:

- لكن الحية كانت المعضلة .. فمن يقدر على الدخول بحية مامة
من هذا النوع الذي يقتل بلا أثر للسم حول الثقوب أو في العيون
والعروق.. حتى أنني ظلت طوال الليل أدرس وأقرأ في برديات
تحتوي .. ثم تواصلت معه في خلوتي المظلمة.. حتى أشار علي ..
ووجدت الإجابة.

ابتسم آمون ابتسامة ساخرة، وقال:

- هل ما زال العجوز حيا وقادرا على التواصل .. ظننته قد تعفن في
عزلته في خيمينو وأصبح غير قادر على الحراك .. فهو لم يقرب بئر
بتاح منذ مائتي عام.

ثم نظر إلى يمينه، ليجد عين حور تشتعل غضبا في وجهه الفتى.
- يعرف آمون المقدس أن تحوتي يصنع ماء البئر بنفسه في عزله
.. ولا يحتاج إلى بئر بتاح حتى يجد شبابه .. لكنه لا يفصح عن
سره لأحد سوى المباركة إمت.

- نعم نعم .. نسيت أنه ساحر مجنون كذلك.

زمجرت ماعت غاضبة لأول مرة في تلك الجلسة الملعونة، وقالت:

- هلا كفت لسانك عن المعظم ثلاثا أيها الـ .. المقدس!

رفع يده ناحية ماعت، بتعبير مختلط بين الاعتذار واللامبالاة،
وأثر الخمر التي عبثا قبل الجلسة ما زال يظهر على عينيه،
فهمست ماعت داخل عقلي الممتلئ:

- هذا المخمور العجوز ينسى أنه يتحدث عن زوجي.

ابتسمت ابتسامة خافتة، ثم نظرت من جديد إلى وجوه آمون
ورع وتلعت:

- الحية ليست حية عادية .. إنها حية بشرية .. وكلنا يعرف عن من
نتحدث .. ومن أين أتت تلك الحية.

نظرت لي بامتيت مستنكرة، وقالت في خفوت:

- أنت تقصد .. وادجيت!

كدت أجيبها، إلا أنني سمعت صوتًا مبحوحًا ملتويًا، كآلف حية تدور
حول نفسها يدوي في جنبات القاعة:

- لطالما أعجبت بآبن أخي أنبو .. فهو يعرف جيدًا ما يتحدث عنه.

التفت الجميع نحو مصدر الصوت، ليجدوا رجلًا نحيفًا حاد
النظرات، يتشح بالسواد من قمة رأسه حتى أطراف أصابعه، وأذناه
الطويلتان منتصبتان إلى أعلى كأنهما تنويان مفارقة رأسه.

ست .. القادم من الغرب ..

توتر الجو، وانتصب حور واقفًا في غضب، وعينه الباقية تشع نازًا
وشرارًا، بينما توترت يد ماعت، وضمت بامتيت ساقها الطويلتين
في خوف.

- ماذا جاء بك إلى هنا أيها الملعون.

صرخ بها حور غاضبًا، بينما ابتسمت ابتسامة ساخرة وقال:

- ألم يخبرك آمون .. ألم تخبره أيها المقدس .. اسمح لي أن أخبرك
أنا .. لقد طلبت السماح والعفو من المقدس آمون والمبارك رع ..
وقد سمح لي أن ادخل إلى القاعة المقدمة .. لأنهما يطلبان
مشورتي في قضية مقتل الملك الشاب.

ثم رفع يديه إلى جواره في حركة مسرحية وتلعب وهو ينحني
نصف انحناءة:

- وها أنا ذا .. بين يديكم .. وفي خدمتكم.

نظر حور إلى آمون ورع في غضب، لكنه تفاجئ بنظراتهم الباردة
المصوبة نحوه، وبصوت رع الواصل العميق كنور الشمس المتسرب
من شقوق الحائط الحجري:

- اجلس يا ابن أخي ولا تنهز .. وتذكر أنك أنت من يحب القواعد
ويقدمها .. والقاعدة تقول..

ثم صمت ونظر إلى ماعت، التي رددت في خفوت وهي تتحاشى
نظرات الجميع:

- يحق للمجلس المقدس أن يستدعي من يريد .. وقتما يريد ..
طالما أقر عضوان فيه ذلك.

أشار رع بأصبعه الذهبي ناحية ماعت وعلى وجهه تلك النظرة
الساخرة الواثقة، فلملم حور شتات نفسه المضطربة، وجلس على

عرشه الذهبي بلا حراك.

- ثم إن أوزير نفسه سامحه .. بل وسمح له أن يخرج إلى الصحراء بلا أذى بعد أن قبل بحكم هذا المجلس .. وتنازل لك عن عرش كيمت .. وأنا وآمون المقدس شهدنا على ذلك.

- أشكرك يا سيد الشمس وحامي النهار .. وأشكر سيدنا آمون المقدس في مجده.. ولتسمحوا لي أن أقول كلمتين.

ثم اقترب مني، اقترب حتى صرت أشم رائحة الموت المتعلقة بعبائته السوداء، ورائحة التراب المخلط بروت الماعز والخمير وقال بصوته المبحوح:

- أنا اتفق مع ابن أوزير .. أبو الحكيم في كل ما قاله .. فمن منا أقدر على قراءة جثث الموتى مثله.. فهو ربيب بنات أوى .. وهو حارس الموتى وحافظ القبور ..

ثم رفع يديه في الهواء، ورفع صوته المبحوح عاليًا وهو يوجه كلامه إلى آمون ورع:

- حورمحب هو من ضرب المسمار في رأس الملك.. يوم أن رفض الملك الشاب أن يقتل زوجته الخائنة .. بعد أن عرف بخيانتها لكيمت وشعبها عندما راسلت ملك الرعاة وخبروا أي هو من زرع له النبتة المسمومة في دوائه وربما هو من ألقى له بالحية أسفل فراشه لأن اتهام ابنتي وادجيت بذلك هو أمر يثير ضحكي أكثر من غضبي.

ثم التفت ناحيتي وهو ينظر لي نظرة شريرة كريهة، وقال:

- فابنتي وادجيت لا تملك نابين لتلدغ بهما يا أبو .. قد يكون بها الكثير من صفات الحية .. لكنها ليست حية.

كاذب .. كاذب وهو يعرف أنه كاذب، وهم يعرفون أنه كاذب.

فقد جعل الرب الواحد لوادجيت مقدرة التحور إلى حية، واللدغ كالحية، والقتل كالحية.

- إذا كنت تتفق مع أبو في ذلك يا ربيب الصحاري . فماذا تريد إذن؟

كان حور يبصق الكلمات بصقا، وعينه تشع غضبا وسخطا:

- أريد المصلحة يا ابن أخي العزيز الحبيب.

نظر له آمون نظرة استفهامية غير فاهمة لمبتغاه، أو ربما فهم مبتغاه لكنه لم يع كيف يسأله السؤال، ربما من أثر الخمر التي أشم رائحتها تفوح من فم آمون المقدس، فقال مت في خياله:

ماذا سيفيد شعب كيمنت المسكين في الكشف عن قاتلي الملك الشاب .. هل سيجعله هذا يبعث من جديد؟

زمجرت ماعت من جديد وقالت:

- العدل .. سيفيدهم العدل .. وأن يحاكم المجرمون كما أوصانا بتاح وأوزير.

نظر لها نظرة كريهة خبيثة خادعة، وقال:

- العدل في أن تستقر كيمت .. وأن تكون سالمة غائمة منتصرة ..
فالأعداء الرعاة على أبواب أرض القمر.. وخونسو قد اختفى .. ولم
يعد يحمي جبال كيمت الشرقية .. ونحن نحتاج إلى ملك حكيم..
يدبر أمور البلاد .. وقائد جند قوي .. يبعد المعتدين عن أرضنا
المباركة في الشرق والغرب.

أصدرت ماعت صوتًا شبيهًا بزئير نمره شرس، ثم أولته ظهرها
وهي تمشي ناحية باب القاعة:

- أنا لن أبقى في هذا المكان .. ولن أسمح أن يميل ميزان العدل ..
الميزان الذي وضعه أوزير وبتاح.

صرخ بصوته المبحوح ليخرج صوته شبيهًا بهبوب رياح سوداء
خبيثة:

- لو كان بتاح وأوزير معًا الآن .. لكنا وافقا على كلماتي يا بنت
رع.

ضرب حور بقبضته الخشنة مسند عرشه الذهبي، وأنفه تتوتر
وجسده يشع نورًا أخضر متوهجًا:

- كف لسلوكك عن أوزير أيها الملعون.

فخفض مت رأسه بأسمى مصطنع، وقال:

- أهكذا يخاطب الشرفاء أعمامهم .. أهكذا يرد حور جميل

المشورة!

ثم مشى ناحية حور كانه يسبح في الهواء، وقال هامسا في خبت:
- وماذا سيقول الناس عن حور حامي عرش الملك .. سيقولون انه
غافل نائم .. وليس مباركا مقدما كما يدعون ..

هل ما أراه صحيح؟

رحت أفتح عيني وأغلقهما، لكن الوهج حول حور بدأ يخبو،
واختفى الغضب من عينه الواحدة، وحل محله نظرة خاوية خائفة،
الشیطان الملعون، يستخدم خداعه من جديد على الجميع.
لكنه لن يخدعني أنا.

- لذا يا سادة .. فانا أرى مباركتكم وموافقتكم على دفن جسد الملك
الشاب بسرعة في الوادي الغربي.. ثم زواج خبرو أي من أرملة الملك
.. وقيادة حور محب للجيش نحو الشرق.

حملت عصاي وكيسي القماشي، والتفت ناحية باب القاعة الكبير
في هدوء، وبينما أصل إلى الباب، قال آمون غاضبا:

- إلى أين تظن نفسك ذاهبا .. أنت من سيحفظ جسد الملك
الصغير.

فقلت بهدوء دون أن التفت لهم:

- جسد الملك محظ في غرفة التحنيط .. فادفنوه إذا أردتم .. أما

أنا فراحل..

ثم التفت إلى ست، لأرى ابتسامته الوائقة المنتصرة الكريهة، وبريق
عينيه السوداوين، فقلت:

- راحل بلا رجعة .. راحل إلى الأبد.

الحلقة الخامسة

تأثير البصلة

المشهد الأول

نهار - داخلي

إدارة البحث الجنائي - القاهرة الجديدة

صباح العاشر من مارس عام ألفين وثلاثين

جلس مصطفى الحلواني على مكتبه، وأمامه طبق من البسكويت
وكوب كبير من الشاي المخلوط بلبن ساخن، وبجوارهم قطع الورق
التي تم تجميعها من جوار الجثث الأربعة.

مزيج فريد يليق بالحلواني.

رن هاتفه المحمول بصوت مرتفع صاخب، لكنه من فرط تركيزه في
الأوراق أمامه، والبسكويت الذائب في الشاي، لم يجب ولم ينتبه.

- تلت آيات من كتب مقدمة .. والرابعة من كتاب الموتى .. ما قد

كان .. وما يجب أن يكون .. مقصود بيها ايه .. وليه هي ختمة
الموضوع!

ثم غمس قطعة بسكويت في قلب كوب الشاي، وعيناه لا تفارقان
الجملة الأخيرة، حتى أنه نسي أن يرفعها، فذابت كأي قطعة
بسكويت تحترم نفسها في قلب الكوب.

رفع يده ناحية فمه، ليجدها خاوية، فأطلق سبة بذينة نحو قطعة
البسكويت البريئة، وأشاح بيده، لتضرب كوب الشاي وتسقطه
بكامل محتوياته فوق تقارير القضية والأوراق المغلفة.

- يا نهار أسود .. ورق القضية .. الله يخرب بيت البسكوت على
الشاي!

مسح كومة مناديل ورقية وراح يحاول تجفيف الأوراق، ومسح
بقايا الشاي من فوق الأوراق المغلفة، والتي تحمل الآيات والجملة
الغريبة.

- الحمد لله إني غلفت الأحراز .. كان زمانى بايت في زنزلة بكرة
الصبح.

وبينما هو عاكف على تنظيف الأوراق، دق الباب، فتوقف للحظة،
وتصلبت أطرافه وتوقف إمدادها بالإشارات من المخ، حتى أنه عجز
عن قول كلمة للشخص الذي يدق الباب، ففتح الشخص الباب.

وعلى عتبة الباب، وبينما الحلواني متصلب بكومة مناديل في يده،

وبقايا الشاي فوق الأوراق، دخل محمد حارس إلى الغرفة.
تقدم حارس من الحلواني، وابتسم ابتسامة ساخرة في وجه
الحلواني المتصلب بلا حراك:

- مالك كده عامل زي العيل اللي قفشوه بالل هدومه!
- لا ولا حاجة .. أهلاً ومهلاً.

جلس حارس على الكرسي أمام المكتب، ووضع ساقاً فوق ساق
وهو يخرج علبة سجائره، ويشعل واحدة.

- أنت هتفضل واقف في الوضعية دي كتير .. ما تقعد يا ابني!
نظر الحلواني إلى يده الممسكة بكومة المناديل، ثم ألقاها على
الأرض، وتنحى وهو يجمع الأوراق الملطخة بتفل الشاي، ثم جلس
على المقعد خلف مكتبه.

نظر حارس للأوراق المغلفة من خلف دخان ميجارته.
- الشاي أبو لبن برضه.

- اه ده يعني لا .. يعني حاجة كده.

- هو ايه اللي حاجة كده .. ما علينا .. أنا عايزك في موضوع مهم
.. حاجة تخص القضية اللي أنت غرقتها شاي بلبن دي.

اعتدل الحلواني في جلسته، وبدأ على وجهه الاهتمام.

- بص يا حلواني .. أنا هكلمك بصراحة ..

- أقصر الطرق بين نقطتين الخط المستقيم.

- أنتم شاكين فيا وبتقلبوا ورايا؟

حدق الحلواني فيه بدهشة، بينما ابتسم حارس وهو يحك لهاب السيجارة في منفضة السجائر وهو يراقب دخانها.

- وما تسألنيش عرفت منين .. عشان ساعتها هتبقى بتقل مني وبتستهين بيا أوي.

تنحج الحلواني من جديد، ثم راح يتشاغل بالأوراق أمامه دون أن ينظر إلى حارس.

- لا أنا مش هسالك .. أصلها لعبة مقفولة وقواعدها معروفة.

- طيب وأنت رأيك ايه؟

- في ايه يا محمد باشا؟

أطفا حارس سيجارته في قلب المنفضة، وقال ساخراً:

- أنت هتخشلي قافية يا حلواني.

- لا الحقيقة عايز اعرف أنت عايز تعرف رأيي في ايه بالضبط؟

نهض الحلواني أمام نظرات حارس الصامته، وجلس أمامه على المقعد، ثم مد ساقيه وقال ضاغظاً على حروف كلماته:

- عايز تعرف رأيي في إن بصماتك وأثر الدي إن ايه بتاعك منتشرين في مسارح الجرائم الأربعة .. ولا بصماتك اللي أنا لسه

رافعها من على الأحراز قبل ما أغلفها .. ولا في حجج الغياب .. ولا
يمكن تكون عايز تعرف رأيي في تاريخك أنت والمدام حملك مع
الأربع ضحايا .. ولا الورق اللي ناقص في ملف خدمتك .. ولا ولا ..
فعشان كده بسالك ..

ثم صمت وقرب وجهه من حارس مكملًا في خفوت:

- عايز تعرف رأيي في ايه بالضبط يا محمد باشا؟

- في كل حاجة يا حلواني.

- رأيي يا باشا أن الورق والتقارير اللي اتدلق عليها الشاي أبو لبن
دي ممكن تبعتك من هنا للمصطبة عدل .. لو ما كانش عندك ليها
تفسير.

أشعل حارس ميجارة أخرى، ثم نفث الدخان في سقف الحجرة
كعادته، ثم قال:

- وإن قولتلك إن عندي تفسير لكل حاجة من دول ..

- يبقى تقولي وأكون شاكر ليك جدًا.

- وإذا قولتلك إن مش هينفع أقولها لك بلوقتي.

- يبقى توفر كلامك وتقوله قدام إبراهيم أبو النور .. أنت عارفه
بيعزك أوي.

ضحك حارس ضحكة خافتة مكتومة، بينما ابتسم الحلواني، فقال

حارس في هدوء:

- عارف يا مصطفى .. أنا من ساعة ما خدمت في المباحث .. وأنا
أسمع عنك وعن مواهبك .. وعن إنك ازاي برغم شكلك المبهدل
وكرشك المدلل والبقسمات اللي أنت بتقرقظه في مسرح الجريمة
.. لكنك فنان فعلاً .. وبتعرف ترسم مسار الأحداث بنسبة ٩٠ في
المية صح.

- ده مديح أكثر مما أستحقه والله.

دفن حارس سيجارته في المنفضة من جديد، وقال متابعاً:

- عشان كده أنا هحكلك على شوية حاجات .. بس الحاجات دي
مش تفسيرات .. تقدر تسميها .. تسميها...

- هسميها أي حاجة يا باشا .. تفسيرات .. إرهاصات .. مكسرات ..
بس أفهم .. أنا محتاج أفهم لأني مش مصدق .. مش مصدق إن
أنت ممكن تكون الشخص اللي بيحاول الخوافة سميت يثبت إنه
هو.

ابتسم حارس من جديد، وعاد بظهره على المقعد، وهو ينظر إلى
الحلواني وكأنه يتفحصه، ثم هرش أرنبة أنفه وقال:

- مايكل سميت ده قصة تانية .. بس مش مكناها هنا.

- القضية دي كلها قصص .. وأنا محتاج أسمعها كلها.

- كله بوقته يا حلواني .. خرينا في أول قصة دلوقتي.

ثم نظر حوله كأنه يبحث عن شيء ما ثم تابع:

- مفيش شاي هنا ولا ايه؟

- لا طبقاً في كل حاجة.

ثم صاح الحلواني رافعاً صوته:

- هات شاي سكر برة يا ابني .. وهاتلي شاي بحليب سكر زيادة.

ثم اعتدل في جلسته قليلاً في هدوء:

- ها يا محمد باشا .. أنا كلي آذان صاغية.

المشهد الثاني

ليل - داخلي

مكتب موقع الحقيقة الإخباري - مصر الجديدة

مساء الرابع عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

جلست سمر تضرب بأصابعها فوق لوحة مفاتيح ذلك الكمبيوتر المحمول، ثم تنظر إلى الشاشة لتجد حروفاً لم تكتب من الأساس في وسط الكلمات، فتطلق سبة عالية وتعيد كتابة كل شيء وهي تضغط بأصابعها بقوة فوق اللوحة.

- ايه يا سمر .. أنت بتبعتي تلغراف ولا ايه؟

صوت ماهر الرفاعي المزعج يدوي عبر الغرفة الصغيرة التي تحتلها هي وزميلة لها لا تظهر أبدًا في المكتب:

- لا يا ريس .. ده أنا بجاهد مع اللابتوب ده .. اعتقدانه ده اللابتوب بتاعك أيام ما كنت صحفي على قد حالك زينا.
نظر لها ماهر نظرة مستنكرة:

- لابتوب .. ده أنتم مرفهين أوي يا سمر .. ده أنا أياما كنت صحفي شاب زيك كده .. كنت بكتب على ورق لحمة .. بقلم فرنساوي مكسور وملزوق ببلاستر جروح .. وأقعد أكتب في التقرير من دول يومين بليلة .. وبعدين أقعد أراجع لغويًا قبل ما أسلمه لمدير التحرير .. حاكم أنت عارفاي بحب اللغة العربية أوي.
كادت تخبره أنه «هجاص» بالتعبير العامي الصريح، وأنه لا يقدر على كتابة كلمتين في ورقة معسل حتى، لكنها ابتلعت كلماتها احترامًا للرجل الذي هو خالها قبل أن يكون مديرها، وقالت وعلى وجهها ابتسامة منهكة:

- طب ما تشوفنا بقرشين كده من الإيرادات التوزيع والإعلانات بتاعة الموقع .. أهو نغير اللاب ده بحتة مستعملة فيها الرmq.. بدل ما ضوافري اتكسرت من كتر الدق فوق الزراير

- منين يا حسرة .. ده إيرادات الإعلانات يا دوب بتصرف عليكم .. أنت ناسية إننا وقفنا العدد الأسبوعي .. لضعف إيرادات التوزيع الورقي .. حتى من ماعتها وأنا حاسس إن الشغل ما بقاش فيه

بركة.

- ما تدخلنيش في حوارى ومدقات يا خالو .. قصدي يا ريس .. أنا بقولك ضوافري بتتكسر كل يوم من كتر الكتابة .. وأنا صارفة على ضوافري دي كتير.

نظر لها نظرة نارية غاضبة، حتى تخيلت أنه مبيخ دخوعشامن فتحتي أنفه، ثم قال:

- بقولك ايه يا سمر .. ضوافرك دي تمن بسيط يا ماما عشان المجد الصحفي .. وخلي بالك كويس.. أنا صابر عليك بس عشان أنت بنت أختي الله يرحمها .. وعشان أنت شغالة على تحقيق سفاح القلوب ده .. لكن يكون في معلومك .. لو التحقيق ده ما بلبش الرأي العام وهز المجتمع.. ورفع المشاهدات على الموقع.. لأكون مبيتك في بيتكم بلا عمل ولا مرتب .. وخلي بالك كويس.
ثم أولاها ظهره وهو يكمل جملته الماثورة:

- في مشاهدات هتقبضي .. مفيش مشاهدات .. هتشحتي.
ثم همّ بالخروج من الغرفة، لكنه توقف فجأة وكأنه تذكر شيئاً ما، وعاد والتفت نحوها قائلاً:

- بقولك ايه يا سمر .. كنت عايز آجي ازور الأستاذ محمود بكرة .. كنت عايزه في استشارة قانونية.

- مجانية طبعاً.

- طبعا .. هو يعطي معقول هياخد فلوس من أخو المرحومة مراته .. ألف رحمة ونور تنزل عليها.

ولت وجهها ناحية الشاشة، وراحت تحاول التأكد من موضع النقاط فوق أحد الحروف، وكلنها أبو الأسود الدؤلي في عزه، وقالت دون أن تنظر إليه:

- الأستاذ محمود غنيم مش فاضي بكرة .. عنده سفرية .. ده حتى خلالي أطلبه الخدمة المخصوصة .. عشان هيروح راكب عربية بالكرمي مش بالعكاز.

لم يبد أي تأثير على وجه ماهر عند ذكرها الكرسي المتحرك، الذي يستخدمه والدها منذ عشر سنوات.

لم يبد نظرات الشفقة أو يتصنع أي محاولات بائسة على هيئة كلمات أو تشجيع أو مواساة، بل قال في بساطة:

- سفرية لفين في البرد ده .. ده الواحد هالين عليها يضرب الكلسون ويشتغل من تحت البطانية.

تجاهلت ملاحظته عن ملابسه الداخلية الشتوية، وراحت تفكر في مسبب السفرية الحقيقي، والذي قرره بعد أن نقلت له رسالة محمد حارس المشفرة الغربية، لكنها أراحت عقلها المنهك بالفعل، وقالت في هدوء:

- سفرية لمسقط رأسه .. عودة للجذور .. للمحلة الكبرى.

المشهد الثالث

نهار - خارجي

شارع العباسي - المحلة الكبرى

ظهر الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

انحرفت سيارة الخدمة الخاصة من ميدان الشون بالمحلة، ثم دخلت عابرة أسفل الكوبري إلى شارع جانبي صغير ومنه مباشرة إلى شارع العباسي، أكثر شوارع العالم ازدحامًا الآن بالنسبة للمحامي العجوز، الأستاذ محمود غنيم.

- الشارع ده ماله بقى زحمة كده ليه؟

يقولها الأستاذ محمود، الجالس فوق مقعده الكهربائي المخصص، في الفراغ الخلفي للسيارة الخاصة، فقال السائق الشاب وهو ينظر إلى الطريق حوله:

- ده كده راق بعد ما شالوا منه السوق يا بيه .. ده أنت ما كنتش تعرف تمشي فيه من الزحمة.

فابتسم محمود وقال في هدوء

- أنا كده كده مش هعرف أمشي يا ابني.

صدمت كلماته السائق على ما يبدو، فصمت الأخير وراح يتبع إشارات جوجل الصادرة من هاتفه المحمول، المعلق بمقبض بلاستيكي بجوار الراديو، ثم صدرت تلك الإشارة التي تخبره أنهم

وصلوا.

أوقف السيارة، ونزل منها سريعًا وهو يساوي ثيابه المكرمشة من أثر السفر وفتح الباب الخلفي، ثم سحب ذلك المنحدر المعدني، وأزاح جسده الضئيل من الطريق، ليهبط محمود بمقعده الكهربائي على الأسفلت البارد، وهو يتشمم الهواء الجاف حوله:

- كل حاجة اتغيرت .. بس هوا هو هو.

ابتسم السائق المجهد مجاملًا، وهو يشم رائحة المياه الملقاة على الأرض أمام ذلك المقهى، والمختلطة بالأتربة ورائحة قلي الفلافل في مطعم قريب، وقال في عملية:

- حضرتك تحب أمستناك؟

- لا ارجع أنت القاهرة .. أنا بايت هنا النهاردة .. وبكرة في نفس المعاد تجيلي هنا.

أوما السائق الشاب برأسه مطيقًا، ثم هرول ناحية باب السائق، وقفز فوق المقعد، وهو يتحرك في هدوء مبتعدًا ومسط الزحام.

وبعد أن غاب في الزحام، نظر محمود إلى المقهى أمامه، ومن خلفه ظهرت وجهته التي سافر لأجلها.

منزل عائلة غنيم القديم، الجاثم ككابوس قديم من عصور لم تكن تعرف الكهرباء المنتظمة، ولا التلاجات التي تبرد مياه الشرب.

وهناك، فوق مقعد خشبي أمام طاولة معدنية صغيرة، يجلس الحاج

بركات، وكأنه جالس هناك منذ الأبد.

تقدم محمود ناحيته بالكرسي، وهو يوجه عصا القيادة الصغيرة ليتفادى قطعة ضالة نامت أمام المقعد لتنعم ببعض الشمس المشرقة.

- أزيك يا حاج بركات.

رفع الرجل المسن رأسه في هدوء، ثم ضاقت عيناه المنهكتان من خلف عوينات تشبه قاع كوب شاي مثل الذي يمسكه في يده، ثم علت وجهه المتغضن ابتسامة مشرقة شكلت تجاعيد شبيهة بأخاديد صحاري المكسيك، وقال في ترحاب:

- الأستاذ محمود غنيم .. يا أهلاً وسهلاً.

اقترب محمود من الطاولة، وعدل من وضع الكرسي حتى يبقى أمام الرجل العجوز، وقريباً منه بما فيه الكفاية كي يسمعه بوضوح بلا أن يرفع صوته:

- بركة إنك بخير يا راجل يا عجوز.

- زي ما قلت يا ابني .. عجوز .. بقالي كتير عجوز ..

- رينا يديك الصحة ويطول في عمرك يا رب.

ضحك ضحكة مجلجلة جعلته يسعل كأن صدره صندوق مليء بالخرز المعدني، وقال:

- يطول في عمري فين تاني .. طب أنت عارف يامحمود .. أنا النهاردة في صلاة الجمعة كلمت رينا.. وقولتله يا رب .. مش كفاية

عليه كده .. نظري ضعف .. ورجلي مش شايلاي .. وسمعي تقلى ..
وجالي السكر والقلب .. طب ده أنا حتى جاتلي الفرة بتاعت
الفيروس إياه من عشر سنين.

- قصدا الكورونا.

- هو المدعوق ده .. وطلعت منه سليم والله .. بس خلاص .. تعبت
.. تعبت يا ابني وعائز أرتاح.

ريت محمود على ركة الرجل البارزة من أسفل جلبابه الصوفي:
- محدش عارف الخير فين يا حاج بركات.

صمت بركات ولم يرد، ثم رشف رشفة أخرى من كوب الشاي الذي
أوشك أن يصل إلى تفرله، ثم صاح بصوت منهك لا يكاد يخرج من
حجرته:

- هات شاي للأستاذ يا مرعي.

- قهوة .. قهوة مادة الله يكرمك.

- هات قهوة مادة للأستاذ يا مرعي .. وهات الشاي ليا أنا،

ثم التفت من جديد ناحية محمود وقال:

- بس أنت ما تأخذنيش يا ابني .. إيه اللي فكرت بينا بعد الزمن ده
كله .. ده أنت بقالك يجي عشر سنين ما عتبتش المحلة .. من أيام
الله يرحمها مراتك ما ...

قاطعه محمود بوجه عابس:

- الله يرحمها ويرحم الجميع .. نشرب بس القهوة وهقولك على كل حاجة .. المهم قولي ..

ثم قرب رأسه من أذن العجوز وقال:

- مفتاح البيت لسه معاك؟

- أومال .. دي أمانة يا أستاذ .. وبركات يعرف يحافظ على الأمانة كويس.

ثم مد يده داخل جلابه، وأخرج مجموعة مفاتيح مربوطة في خيط حول رقبته المتغضنة، ثم فك العقدة ليحل الخيط الثقيل، ويناول الحلقة لمحمود قائلاً:

- ده مفتاح البيت ومفتاح الصندرة ومفتاح البدروم ..

- الله يكرمك يا حاج بركات .. ما نتحرمش منك.

مال بركات برأسه حتى كاد يصدم جبهته بجهة محمود وقال:

- بس ما تأخذنيش يعني .. أنت هتخش البيت ازاي وأنت يعني .. ما تأخذنيش.

ثم أشار بطرف أصبعه إلى الكرسي المتحرك، فابتسم محمود ابتسامة عريضة:

- قصدك عشان عاجز يعني .. لا ما تقلقش ما أنا معايا واحد حبيبي

زيك كده هيساعدني.

- هو فين ده يا ابني .. ما شوفتوش معاك يعني.

ابتسم محمود ابتسامة غامضة، لو رآها الحاج بركات لشعر بالقلق منه ومن مساعده المرتقب، وقال:

- زماله على وصول .. زماله على وصول.

* * * * *

المشهد الرابع

نهار - داخلي

مكتب وزير الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

جلس مايكل سميت واضعًا ماقًا فوق ماق على الأريكة الجلدية الوثيرة في مكتب اللواء توفيق إسماعيل، وراح ينفث دخان سيجارة كنت طويلة في الهواء أمامه، بينما توفيق ينظر إلى الأوراق التي وضعها سميت على المكتب منذ لحظات.

وبعد خمس مجلدات وكوب كبير من القهوة، رفع توفيق إسماعيل عينيه المنهكتين، وخلع عوينات القراءة -التي أصبح يرتديها مؤخرًا- وقال وهو يفرك عينيه:

- جميل .. وايه المطلوب بقي؟

علت الدهشة وجه مايكل سميت للحظات، لكنه أخفاها خلف قناعه
البارد من جديد وقال:

- يعني ايه يا سيادة الوزير .. أنا مقدم لك قرائن كاملة في
الريبورت ده .. وكل أصابع الاتهام رايحة ناحية شخص واحد بس
.. محمد حارس جاد المولى.

- العقيد محمد حارس جاد المولى ..

ثم رفع مسابته ناحية سميت وكأنه يحذره متابعًا:

- ما تنساش ده .. العقيد محمد حارس .. الضابط المشرف على
القضية يا مستر سميت .. ورئيس مباحث القاهرة الجديدة اللي
حصلت فيها الأربع جرايم .. يعني ببساطة كل اللي في الورق ده
ممكن يكون صدفه .. وتواجد الدي إن ايه بتاعه هو وتحليل
الكربون بتاعكم ده .. مش دليل على إدلته ..

- طيب أنا معاك .. وبالنسبة لحجج الغياب؟؟

ابتسم توفيق ساخرًا وقال:

- هو كان المطلوب منه يدبر حجج غياب صريحة في وقت
الجرايم ليه .. أنا شخصيًا محدش بيبقى عارف أنا موجود فين على
طول إلا مراتي وبس.

ثم عض فلتير سيجارته وهو يضحك ضحكة مكتومة على دعابته
السخيفة، بينما لم تتغير تعبيرات وجه سميت الباردة، وقال وعيناه

الرماديتان تشعان ببريق غامض:

- طيب ومسبب تواجد الذي إن ايه بتاعه في مكان أول جريمة ..
الجريمة اللي حصلت قبل ما أنت تكلفه بالتحقيق في القضية ..
واللي لقوها في مكان غريب جدًا .. لقوها على الورقة اللي حطها
السفاح المختل ده جنب الجنة .. وكتب عليها بدم الضحية نفسها.

صمت توفيق، وتصلبت السيجارة قليلًا على شفثيه، ثم نظر إلى
الأوراق من جديد، وراح يقلب فيها وهو يعرض على فيلتر سيجارته،
حتى وصل إلى تلك الورقة المشنومة، والتي تحمل تقريرًا عن
تحليل عينة الحمض النووي، فرفعها أمام عينيه وهو يرتدي عوينات
القراءة الصغيرة من جديد.

- ما تتعشش نفسك يا معالي الوزير .. اسمح لي أقرأ لك اللي فيها.

ثم أطفأ سيجارته الطويلة، وعقد كفيه فوق ركبته وقال:

- عينة إيجابية .. مكان تجمع العينة .. منزل الدكتور بدر الدين
علي .. من فوق الجنة ومن فوق الورقة الموجودة بجوار الجنة ..
ومن على المقبض الإلكتروني لباب غرفة النوم مكان تواجد الجنة ..
أعد التقرير .. مصطفى الحلواني .. خبير أول أدلة جنائية.

ثم صمت وهو يبتسم ساخرًا وتابع:

- مش ده مسيو بوارو بتاعكم.

رفع توفيق عينيه ببطء شديد ناحية مميت، وخلع عوينات القراءة،

وراح يضم أذرعها البلاستيكية في هدوء، ثم نظر إلى سميت بعينين منهكتين، فنهض الأخير وتقدم من المكتب، وجلس على المقعد المقابل له وهو يقول هامساً:

- ودلوقتي ايه رأيك يا معالي الوزير؟

نظر توفيق ناحيته، وعيناه تتدافع منهما شرارات الغضب والإنكار:

- برضه أنا عند رأيي .. مفيش قرينة ثابتة لغاية دلوقتي .. واحنا دولة قلان يا مستر سميت .. يعني أنا ما أقدرش أقبض على مشتبه فيه في قضية حسامة زي دي من غير قرينة ثابتة .. ما بالك لو كان ضابط شرطة .. الدنيا هتقوم ومش هتقعد.

أخرج سميت علبة سجائره من جيب معطفه، أشعل سيجارة طويلة جديدة:

- معالي الوزير خايف من السوشيال ميديا والصحافة الإلكترونية.

- مش بس السوشيال ميديا ولا الصحافة الإلكترونية .. سمعة الحكومة اللي الناس في الشارع هيمضغوا فيها ليل ونهار .. اعتبارات كتير وحاجات كتير أوي ممكن أنت ما تكونش عارف عنها حاجة ..

- اللي أعرفه يا معالي الوزير إن قدامك طن من القرائن والأدلة .. وأنت مش عايز تاخذ فيها خطوة واحدة .. وده بالتأكيد لا هيعجب معالي رئيس الوزراء و.. حكومة جلالة الملك.

ابتسم توفيق ابتسامة ساخرة، وعاد بظهره للوراء ليريحه على
المقعد الجلدي الوثير ثم قال:

- ويا ترى لو كانت الجرايم ده على أرض حكومة جلالة الملك ..
وأنت رحت لرئيسك المباشر بالورق المهلهل ده .. هيسمع كلامك
ويقبض على المشتبه فيه .. وفرضًا إنه سمع كلامك .. هيخرج منها
في جلسة ربع ساعة قدام هيئة المحلفين الموقرة .. ومن غير ما
حد يخدمه .. ومش بعيد يطلب منكم تعويض.

ثم نظر إلى سميت نظرة صارمة من عينيه الضيقتين، فقال
سميت معقبا:

- الوضع هنا مختلف .. وأنا

- ششششششششششش!

نظر سميت إلى توفيق في امتنكار، فتابع توفيق بلا اهتمام بتعبيره
المستنكر:

- بص يا مستر سميت .. أنت جاي هنا عشان تشارك في التحقيق
«بفعالية» زي ما قولت .. وأنا سمحت بده .. ووفرتلك كل المساعدات
اللي أنت عايزها .. ولغاية دلوقتي كل اللي بسمعه منك هو تكهنات
.. وخيالات .. وخيوط مقطعة مفيش حاجة منها موصلة لأي هدف
.. أنا ما أنكرش إنك بتبذل مجهود وبتحاول .. بس ماشي غلط ..
وعشان كده أنا هقعد معاك صفقة أخيرة.

نفت سميت دخان سيجارته وقال في هدوء:

- صفقة آيه؟

- قدامك شهر من دلوقتي .. تتعاون فيه بشكل كامل وغير

مشروط مع فريق البحث بتاعنا.. وتستغل الموارد غير المحدودة

اللي منحتهاك الوزارة في إنك توصل للقاتل الحقيقي .. بدل مجرد

تركيزك على تقييف الأدلة على محمد حارس.. يا إما أقسم بشرفي

لأكون أنا بنفسى اللي باعت المذكرة لحكومة جلالة الملك .. وطالب

استبدالك بحد أكثر تعاونًا ومصداقية .. مفهوم كلامي يا مستر

سميث؟

دفن سميث سيجارته في المنفضة في هدوء، ثم ابتسم ابتسامة

صفراء باهتة:

- مفهوم يا .. معالي الوزير

ثم نهض مغلقًا أزرار معطفه الأسود الطويل، ووضع قبعته على

رأسه، ولمس طرفها قللاً:

- بعد إنك .. هروح أنا أتعاون بشكل غير مشروط.

- لفضل .. ربنا يوفقك.

لمس طرف قبعته محيياً من جديد، ثم غادر الغرفة بخطوات

واسعة، وما أن أغلق الباب، حتى مد توفيق يده إلى الهاتف الصغير

الموضوع بجوار الهاتف الداخلي، ورفع السماعة وهو يحبس أنفاسه

المتلاحقة قللاً:

- عايز خط متامن لمكتب رئيس الوزرا .. مع الرئيس .. مهم ..
طيب خلي السكرتارية تبلغه إن الموضوع مهم جداً جداً .. موضوع
أيه ..

ثم صمت للحظات حتى توقف الهواء في الغرفة كلها، وقال
متابعاً:

- محمد حارس .. محمد حارس المصري.

* * * * *

المشهد الخامس

نهار - داخلي

منزل عائلة غنيم بشارع العباسي - المحلة الكبرى

مساء الخامس عشر من مارس عام ألفين وثلاثين

اقترب محمود غنيم من باب المنزل الجائم كالكابوس خلف شارع
العباسي، بينما يمشي مسعد خلفه في حذاءه الرياضي المطاطي،
حتى أصبحا يقفان أمام الباب الخشبي العملاق.

نظر مسعد إلى الباب وقال هامساً:

- بيت ناس قوادم صحيح.

- بيت ملعون وكله شر.

نظر مسعد إلى وجه الأستاذ محمود، ليجد علامات الكراهية
والسخط على وجهه الطيب الحليق، فقال من جديد:

- أنت بتكره البيت ده أوي يا أستاذ.

- ما شفتش فيه إلا اللعنات والهمل والحزن يا مسعد .. وبرغم إن
البيتين في ظهر بعض .. لكن بيت جدتي الله يرحمها كان جنة رينا
على الأرض.

- الله يرحم الجميع.

ثم فرك مسعد كفيه وقال في عملية:

- عايزني أخش البدروم الأول ولا الصندرة يا أستاذ؟

- البدروم يا مسعد .. ده المكان اللي قالي عليه المرسال.

ثم ناول مجموعة المفاتيح لمسعد، فنظر لها في هدوء، ثم خطا
أول خطواته على سلم المنزل:

- امتعنا على الشقا بالله.

وبينما يفتح مسعد باب المنزل الصغير المكون من طابقين ليس إلا،
راح محمود غنيم يحدق في النوافذ الخشبية التي كساها التراب
وأكلت الرطوبة من طلاء أخشابها، وإلى الطيور التي تنام في
أعشاش نصبتها في كل شق من شقوق الحجر الكبير الذي بني به
المنزل، ثم نظر من جديد إلى الباب الخشبي وهو يلقي بنظرة عبرة
الصالة المضاءة بضوء كشاف مسعد:

- الحمد لله إني بقيت عاجز.

ثم أغمض عينيهِ حتى لا تقعا على أي شيء قد يراه في الصلاة.
لكن كل شيء الآن يجري أمام عينيهِ المغلقتين كشرائط سينما
قديم.

صوت جده محمود، الطبيب الذي جعله يكره الطب كله، ويصمم
على أن يختار المسار الأدبي في الثانوية العامة، حتى لا يجبره
أحدهم على دخول كلية الطب.

صوت جده يرن في جنبات عقله:

- ولد يا محمود .. أنت قاعد بتعمل ايه عندك؟

يتذكر يومها.

دخل مكتب جده على أطراف أصابعه، كأي طفل شقي بالأس في
عمر العاشرة، يحاول أن يستكشف العالم الذي يختفي خلف الباب
الخشبي المغلق، الذي يغلقه جده بمفتاح كبير كلما رحل عن المنزل
لأيام لا يعلم إلا الله طولها من قصرها.

دخل المكتب، وراح يمشي في ظل الضوء القادم من الصلاة عبر
الباب الموارب، حتى وصل إلى المكتب نفسه.

وفوق المكتب الخشبي العملاق، وخلف ظهره مكتبة خشبية
عملاقة تملأ الحائط بأكمله، وتمتلئ بكتب لا يقوى على قراءة اسم
واحد منها، رأى مظروفًا بنيًا كبيرًا على سطح المكتب، وقد كتب

عليه كلمات بحروف غير عربية، لا يعرف نطقها، لكنه عرف لاحقًا
عندما كبر أنها اللاتينية.

ما زال يتذكر رسم الكلمات حتى الآن

XXX MUTANTES

يومها أمسك بالظرف الكبير ثم أخرج الأوراق منه، وبدأ يحاول
قراءة الكلمات المكتوبة بخط اليد الأنيق فوق الورق الأصفر.
لم يعرف شيئًا مما قرأه، فقط كان يقرأ الكلمات المكتوبة بحروف
شبيهة بالإنجليزية، ولم يفهم منها شيئًا

OMINA INCIPIT CUM PTAH

هل يكتب جده بحثًا عن أمنية؟ ومن هي أمنية؟ ومن هو بتاح؟
إلا أن تساؤلاته لم تكتمل، ففي تلك اللحظة بالذات، سطع نور
الغرفة عاليًا، ثم ظهر العملاق المخيف على عتبة الباب في مشهد
كلبوسي لن يفارق خياله أبدًا.

تمامًا كمشهد جده وهو يفحص جدته المسكينة، وهي على فراش
المرض، ثم يده وهي تغرس محقنًا في وريدها المتهالك، وعيناه
اللتان تشعان بريقًا مخيفًا.

- أنت بتعمل ايه يا دكتور؟

كان يصر على أن ينادوه بالدكتور فقط!! حتى أبنائه وأحفاده.

- مش هتفهم حاجة دلوقتي .. لكن بكرة هتفهم كل حاجة.

والآن، وبعد أن جاءت الرسالة التي التقطت شفرتها فوراً، والتي نقلتها له ابنته الوحيدة، عرف ماذا كان يفعل جده.

وفهم كل شيء.

- هو ده يا أستاذ؟

قطع سؤال مسعد المفاجئ خيالاته وأحلامه وفيلم ذكرياته، وكأنها بكرة تالفة، فقال بصوت مبحوح مكتوم:

- وربني كده.

ناول مسعد مظروفاً بنياً ضخماً، وضع في كيس بلاستيكي أسود كأكياس الفاكهة في الأسواق الشعبية، فمد يده وأخرج المظروف الذي كساه التراب.

وعلى المظروف البني المنتفخ، رأى الحروف اللاتينية الكبيرة المنقوشة بخط يد ثقيل واثق.

مرر يده فوق الكتابة التي بهت نصفها على المظروف، ثم رفع عينين مغرورقتين بالدموع نحو مسعد وهو يقول بصوت متهدج:

- هو يا مسعد .. هو .. المرمال طلع صح.

- أيوة يا بيه صح .. ده أنا لقيته في المكان اللي قولتلي عليه في البديوم بالضبط .. زي ما يكون الراجل ده كان متربي في المكان

ابتسم محمود وهو يتذكر الرسالة التي نقلتها له سمر ليلة أن
قابلت محمد حارس في منزله:

- قالك ايه تاني كده؟

- قالي وصلي الرسالة دي لبابا .. واحفظيها ما تكتبهاش.

ثم أغمضت عينيها بتلك الحركة التي تذكره بأمها رحمها الله،
وقالت:

- روح ديدوسيا .. في مدفن الذكريات .. الحصان بيتحرك لقدام ..
وبعدين بتحرك بالجنب .. هيلاقى بيت النمل قدامه.

ابتسم من جديد عندما تذكر كيف ضحك مجلجلاً، بينما تنظر هي
له غير مدركة لمعنى الرسالة.

ألا أنه التقطها تمامًا، وفهمها تمامًا، لأنه يعرف هذه الرسالة.

يعرفها وسمعها وترددت في رأسه حتى حفظها وهو صغير .

- يالا بينا يا مسعد .. هنبات في الفندق الجديد عند ميدان الشون.

- طب مش هنقفل باب البيت يا أستاذ؟

نظر محمود نظرة أخيرة من خلف ظهره إلى الباب المفتوح، ثم
قال:

- مش فارقة يا مسعد .. مش فارقة.

المشهد السادس

نهار - داخلي

منزل اللواء إبراهيم عبد الفتاح - المعادي

ظهر التاسع والعشرين من مارس عام ألفين وثلاثين

راح جرس الباب يرن بلا انقطاع.

جرس مخيف لحوح، وسيف لا يكره في حياته سوى اللوحين.

أوقف سيف بث فيديو اليوتيوب بمسرحية مدرسة المشاغبين،
ونفض وهو يطلق مجموعة من السباب المقذع في حق من وضع
إصبعه على الجرس بلا انقطاع.

مشي سيف إلى الباب بخطواته المتناقلة من أثر استيقاظ متأخر
ومشي طويل لأداء صلاة الجمعة، ثم وجبة دسمة من الفول
والبيض والجبنة المزدان بالطماطم، ورغيفين من الخبز الأسمر
الثقيل.

وعندما وصل إلى الباب، كان الجرس اللوح قد توقف، ففتح الباب
غاضبًا، ليجد ما توقعه.

لا أحد أمام الباب.

نظر يمينه ويسرة على البسطة الرطبة نصف المظلمة، ثم هم
بالدخول، لكنه تذكر شيئًا ما، فنظر إلى موضع قدميه على عتبة

الباب.

ليجد المظروف الضخم أمامه.

ابتسم ساخراً وقال:

- تقليدي أوي .. ظرف على عتبة الباب.

ثم تناول المظروف السميك، وراح يتشممه كالكلب البوليسي، ثم تحسسه وتابع.

- مظروف جديد.. ورق سميك وثقيل .. وجواه بطلانة عشان تحافظ على الورق.

ثم أغلق الباب، ومشى إلى الغرفة من جديد، ووضع المظروف على الطاولة، ثم وقف في المطبخ يعد كوب قهوة داكنة كثيفة السكر. تذكر أنك حملت رواية حارس تأثير البصلة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك. فقط ليكتشف أن مخزون السكر قد نفذ، وأنه منذ غادر المصحة، لم يكن لديه سكر من الأساس!

- خلاص .. نشرها سادة.

أعد القهوة، ثم مشى من جديد نحو الطاولة، ووضع القهوة إلى جواره فوق مسند المقعد الأميوطي متقشر الخشب، ورشف رشفة

صغيرة وهو يتلمظ، ثم فتح المظروف ومد يده يخرج ما بداخله.

وعلى مقدمة الأوراق، وجد ورقة واحدة كتب عليها بخط اليد

«لا تنس .. فقط عندما يتحرك الفيل الأبيض»

ابتسم ابتسامة جذلة عابثة وقال في هدوء:

- والله زمان يا حارس .. والله زمان.

ثم وضع الأوراق جانباً، وامسك بجهاز التحكم، ثم أعاد تشغيل
المسرحية، وأمامه على الشاشة، راح سعيد صالح يصرخ قللاً:

«مستنضم الإذاعة المحلية .. إلى إذاعة البي بي سي»

المشهد السابع

نهار - داخلي

مبنى وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الثلاثين من أبريل عام ألفين وثلاثين

جلس كريم لبيب خلف مكتبه المؤقت في مبنى وزارة الداخلية،
وراح يحتسي قهوته الداكنة الكبيرة، وجهاز التدخين الإلكتروني
في يده اليسرى. بينما في يده اليمنى، يمسك بمظروف كبير بني

الحجم، لصقت عليه ورقة بيضاء مطبوع عليها بالكمبيوتر XXX

MUTANTE

مسحب نفسًا قصيرًا من الجهاز، ثم همس:

- طب التالية دي المقصود بيها المتحولين .. الكلمة متشابهة .. لكن ايه الثلاثة إكس دول .. دي شبه العلامات بتاعة القنوات اياها.

ابتسم للخاطر القبيح، لكنه طرد الأفكار من رأسه، وراح يحاول قراءة الأوراق داخل المظروف الضخم.

كلها كتبت بحروف تشبه الحروف الانجليزية، لكنها ليست إنجليزية، فهو لا يفهم إلا كلمات قليلة منها، وبالشبه فقط.

- لازم نستعين بصديق .. عشان نعرف فك الرموز دي.

ومد يده ناحية الهاتف الداخلي، لكنه سمع صوت دق على الباب، فوضع السماعة، وخبأ المظروف داخل أحد الملفات الحكومية الصفراء، ثم صاح:

- ادخل.

الفتح الباب، ودخلت منه طيبة شرعية نحيلة وعصبية، تعدل عويناتها الكبيرة أمام أعينها خمسة مرات في الدقيقة.

- والله أنت بنت حلال .. أنا كنت لسه هكلمك

- طب اطلبلي قهوة عشان أنا جايلك بخبر مهم.

- لا .. الأخبار المرة دي عندي.

ثم رفع السماعة من جديد وضغط رفقًا داخليًا، وعندما أجابه

أحدهم قال:

- اعملنا كابتشينو من البوفيه يا جمعة .. من غير سكر.

ثم وضع السماعة، ونظر إلى إيرين مبتسقا، ثم أخرج المظروف
البنّي الضخم، وناولها إياه عبر المكتب الصغير.

- آيه ده؟

- أنا الحقيقة مش عارف .. ومنتظر منك تقولي.

عدلت عويناتها من جديد، ونظرت مضيقة عينيها إلى الورقة
البيضاء الملصقة على المظروف:

- ده لاتيني.

- توقعت كده يا إيرين .. والكلمة التالية دي يعني متحولين .. بس
آيه الثلاثة إكس دول .. أكيد مش مقاس هدمهم يعني.

نظرت له في برود، فتنحج لائقا نفسه على المزحة السخيفة، ثم
نظرت من جديد إلى الكلمات المطبوعة وهي تبسم:

- وبتعتبر نفسك مثقف وبتاع مينما وكتب .. ومش عارف الأرقام
اللاتيني.

- يا سلام .. هو من ضمن الثقافة إني أعرف لاتيني .. هو أنا ملبوس
ولا قس كاثوليكي.

ابتسمت هذه المرة، وهي تتذكر مقولات دأحمد خالد توفيق

رحمه الله عن من قد يعرف اللاتينية، ثم قالت في بساطة:

- الواحد من دول يا ميدي اسمه ديسيم .. يعنى الرقم عشرة ..
والثلاثة مع بعض اسمهم ترايجنتا.. يعنى ...

قاطعها وهو يرفع كلتا كفيه أمام وجهه قائلاً:

- ثلاثين .. مش محتاجة يعنى .

- طيب بطل إفيهاش .. وقولي .. وصلك ازاي الملف ده.

هرش اربعة انفه، فقالت إيرين لائمة وهي تنظر إلى المظروف:

- لا ما تكذبش عليا .. لو مش هينفع تقولي قول كده .. لكن ما
تكذبش يا كريم.

- أنا ما بعرفش أكذب عليك للأسف.

رفعت عينها إليه، فوجدته يحدق فيها بنظرة لم تعرفها في حياتها،
لم تختبرها من قبل، ولم تتصور يوماً أن شاباً مثقفاً لطيفاً ومسيماً
مثل كريم قد ينظر إليها بها.

ولشدة خجلها، وللمرة الأولى منذ أن قال عنها مدرس العلوم أنها
نابغة وهي في الإعدادية، احمر خداهما خجلاً.

- طيب ما تكذبش عليا يا كريم وصارحني.

- أنا الحقيقة ما كنتش ناوي أكذب .. أنا كنت بهرش طرف
مناخيري عشان تفتكري إني ناوي أكذب.. بنكشك يعنى.

نظرت له وقد بدا الغضب يظهر في عينيها، لكنه غضب طفولي يغلفه دلال أنثوي بكر لم يتلوث بعد:

- طب خلاص مش عايزة أعرف يا سيدي.

- بعتهولي صديق قديم .. محامي محترم كنت قابلته من خمس سنين في قضية من القضايا.. وبلغني إن اللي دله على الظرف ده هو اللي طلب منه إنه يسلمهولي أنا شخصيًا.

ثم أشار إلى المظروف وهو ينفث دخان سيجارته الإلكترونية قائلاً:

- وبما إن الملف كله مكتوب باللاتيني .. فأكيد اللي وصلهولي عارف إنني هطلب مساعدتك بشأن تقرري معايا اللي مكتوب فيه .. مش أنت تعرفي لاتيني؟

- يعني طشاش .. بخبط .. بس مش لدرجة الإتقان يعني.

- ما اعتقدش يا إيرين إن الموضوع محتاج إتقان .. وإلا ما كلش الصديق القديم ده بيعت الملف ليا.. أقصد لينا.

ثم ابتسم ابتسامة واسعة، فشعرت إيرين بقلبها يطلب المغفرة منها لأنه قرر أن يخفق.

متى أدركت أن ابتسامة كريم لبيب ساحرة لهذه الدرجة؟

ولتغلب على قلبها المتمرد، عدلت عويناتها من جديد وأخرجت الأوراق، وراحت تقرأ.

وبعد خمس دقائق مرت بدون أي صوت سوى رشقات القهوة،

رفعت إيرين عينيها من فوق الأوراق وقالت:

- مش معقول .. أنا مش مصدقة اللي بقراه.

- في ايه اللي بتقريه؟؟

بدأ الاهتمام على وجه كريم، لكن إيرين رفعت الأوراق والمظروف، ووضعتهم على المكتب أمامه وهي تقول:

- فإكر البحث إياه بتاع المتحولين التلاتين؟

- آه طبعا .. بس البحث ده كان ناقص صفحات كثير زي ما قولتيلي.

تذكر أنك حملت رواية حارس تأثير البصلة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصریات أكبر مكتبة للكتب والروایات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خلة البحث مكتبة بيت الحصریات هنظهرلك.

- لكن ده حاجة سابقاه شويتين تلاتة .. حاجة ممكن تفتحلنا سكك كثير في القضية الغريبة دي.

- قضية .. ياه .. ده أنا كنت حُرّيت أنساها القضية دي.

تجاهلت ملحوظته الیاسة، وأشارت بطرف أُسبعها ذي الظفر القصير ثم قالت:

- البحث ده صحيح جاي متصور أو مطبوع على ورق جديد.. لكن الطريقة اللي متصاغة بيها اللغة اللاتينية قديمة شوية .. تقدر تقول

من التمانينات .. أو أوائل التسعينات.

- تمانينات وتسعينات ما يقاوم قديم يا إيرين .. ده أواخر القرن العشرين.

خبطت على الورق بأطراف أصابعها وقالت:

- تمانينات وتسعينات القرن التسعناشر يا كريم .. وحسب الكلام اللي مكتوب .. اللي كتب الكلام ده مش أي حد .. اللي كتب الكلام ده فريق بحثي كان مهتم جدًا بالظواهر الخارقة والكيانات القديمة يتزعمه شخصية مهمة جدًا.

- ومين بقى الشخصية دي .. إسحق نيوتين؟

- إسحق نيوتن مات سنة ١٧٢٧ يا مثقف يا جامعي.

- اومال مين إيرين؟

رفعت ورقة من وسط الأوراق كتب عليها بحروف انجليزية كبيرة اسم قائد هذا الفريق، الاسم الذي يعرفه الكثيرون لأنه ارتبط بشخصية هامة للغاية.

وبينما يقرأ كريم الاسم، قالت إيرين في هدوء:

- اللي كتب الكلام ده بخط ايده .. سير آرثر كونان دويل.

المشهد الثامن

نهار - داخلي

مكتب رئيس الوزراء - العاصمة الجديدة

صباح الرابع والعشرين من مايو عام ألفين وثلاثين

جلس اللواء توفيق إسماعيل على المقعد الجلدي الوثيق بينما
يجلس قبالة مايكل سميت في ردائه الأسود، وعيناه الرماديتان
تراقبان وجه توفيق المكفهر.

بينما رئيس الوزراء عاكف على قراءة الملف المنتفخ أمامه.

وبعد لحظات من الصمت، والسجائر التي انتشر دخانها حتى
كادت ذراته تحل محل الأكسجين في الهواء، قال رئيس الوزراء:

- أنت اطلعت على الكلام اللي في الملف ده يا توفيق؟

لم يتلق إجابة، فرفع عينيه ليجد توفيق شاردًا في وجه مايكل
سميت.

- توفيق .. أنت سامعني يا معالي الوزير؟

- ها .. حضرتك كنت بتسألني عن حاجة؟

- بسالك عن حاجة .. ده أنا هسالك عن حاجات وحاجات يا توفيق

.. ده أنا مسجل كل حاجة قولتها يا معالي الوزير في مكالمتك معايا

على الخط المتامن من أكثر من شهر .. وساعتها قولتلي إنها

ملحوظات تافهة ولا ترقى لدرجة القرائن .. وإنا لازم نحمي الضابط بتاعنا وصورة الوزارة وكل الهطل اللي أنت كنت بتبرر بيه فشلك.

- يا فندم بس....

ضرب رئيس الوزراء سطح مكتبه مقاطعا توفيق في غضب، ثم سحب نفسا عميقا من سيجارته:

- معالي رئيس الوزراء ممكن يسمح لي أقول ملحوظة؟

نظر رئيس الوزراء في هدوء إلى مايكل سميت، ثم قال:

- اتفضل يا مستر سميت أكيد ..

ثم نظر إلى توفيق نظرة جانبية وهو يتابع:

- على الأقل أنا شوفت من شغلك نتيجة.

كاد توفيق ينهض من الكرسي ويلقي بنفسه من نافذة الطابق الأربعين، حيث يقع مكتب رئيس الوزراء، لكنه تذكر زوجته وابنه الذي أوهك على التخرج من الجامعة، فجلس ملتصقا بمقعده وأذناه تحمران خجلا.

- أنا متفهم ليه مستر توفيق مكانش ماشي ورا الموضوع بالاهتمام اللي أنا كنت موليه للموضوع.. يمكن عشان هو عنده مبرراته وقناعاته اللي ما تخليهوش يصدق إن ضابط شرطة ممكن يكون عمل كده.

ثم نظر إلى توفيق من جديد وقال:

- بس أحب أقولك يا معالي الوزير إن الضباط بني آدم زينا .. ممكن يغلطوا ويكذبوا ويقتلوا عادي.

- الحقيقة أنت مفيش بني آدم زيك يا سميت.

أجابه توفيق ساخرًا، فتنحى رئيس الوزراء بصوت مرتفع، ثم نظر إلى سميت من جديد:

- وتقترح إيه يا مستر سميت؟؟

عقد سميت يديه أمامه وقال:

- الإجراءات المعتادة يا معالي الرئيس .. القبض على المشتبه فيه .. والتحقيق معاه في النيابة والشرطة .. وطبقًا للتحقيقات لازم تكون من فريق تحقيق مصري .. أنا مش هتدخل فيها نهائي.

ثم قال بصوت مبحوح كربه، شعر معه توفيق برغبة لإطفاء سيجارته المشتعلة في حجرة سميت:

- عشان صورة الوزارة وهيبة الحكومة المصرية .. وأنا هكتفي بس بالمراقبة من بعيد.

- وأنا موافق على الإجراءات دي.

ثم نظر رئيس الوزراء إلى توفيق وقال:

- مستني إيه يا معالي الوزير .. شوف شغلك.

نهض توفيق من فوق المقعد، وزرر سترته وهو يقول في صرامة:

- أوامر معاليك .. هطلع على النيابة حالاً ومعالي الملف ..
واستصدر أمر ضبط وإحضار.

- شوف إجراءاتك المعتادة يا معالي الوزير.

مشى توفيق بخطوات متناقلة نحو الباب، ثم فتحه وهو يرمي
سميت بنظرة جالبية أخيرة، حملت كل مقتنه وكراهيته له، ثم أغلق
الباب خلفه في هدوء.

بينما تنحج سميت وقال في هدوء ثعلبي:

- بالنسبة للسوشيال ميديا والصحافة والمواقع .. أنا عندي فكرة
يا معالي رئيس الوزراء.

- فكرة ايه؟؟ أحب أسمعها.

قال سميت وهو يضم ساقيه قليلاً ويضع كفيه المعقودتين فوقهما:

- الصراحة يا معاليك .. الصراحة التامة .. بدون ما نخبي أي
حاجة .. وأنا عندي صحفية شاطرة في موقع من المواقع ممكن
تغطي الموضوع بشكل متكامل ومن غير ما نخبي أي حاجة ..
صحيح هي كانت قلقانة تاخذ أي خطوة .. لكن لو زقينها عليها
رئيس التحرير بتاعها .. هتتحرك فوراً.

- ومين رئيس التحرير بتاعها؟

نظر ناحية رئيس الوزراء وقال بابتسامة ساخرة:

- اسمه ماهر .. ماهر الرفاعي.

- يا ساتر .. الراجل ده سئيل ومخيف وأنا ما بطيقهوش .. بس

معاك حق .. هو صياد فرص .. وعمره ما هيفوت فرصة زي دي

ثم وضع عوينات القراءة أمام عينيه، وأزاح أوراق القضية من

أمامه، وراح يقرأ في أوراق أخرى، وكأنما حول اهتمامه بكبسة زرا

- اعمل اللازم مستر سميت .. بالتنسيق مع توفيق والجهات المعنية.

- بس يا معالي الر.

- شرفت يا مستر سميت.

وراح يوقع بعض الأوراق، بينما نهض مايكل سميت، وعلى وجهه

تعبير بارد وابتسامة صفراء باهتة، ثم مس طرف قبعته أمام رئيس

الوزراء المتشاغل، وخطا بخطواته الواسعة ناحية الباب.

وعلى باب المكتب، وقبل أن يغلقه خلفه، حدق في لوحة زيتية،

تحتل مساحة كبيرة من حائط مكتب الوزير رسم عليها وجه إنسان

صغ باللون الأخضر، وعلى رأسه تاج أبيض شبيه بالبيضة.

فابتسم سميت ابتسامة عريضة مأكرة.

ثم أغلق الباب خلفه في هدوء.

المشهد التاسع

نهار - داخلي

منزل العقيد محمد حارس

صباح الخامس والعشرين من مايو عام ألفين وثلاثين

كان محمد حارس يتقلب في فراشه كالمحموم هذه المرة.

البئر العميقة قد جفت، وهناك في قلب البئر يقف هو فوق الركام.

وطائر أبو منجل، فوق جسد إنسان مشدود العضلات، يضرب

بمنقاره الصخر في جنون.

ومن خلفه، سمع الصوت الذي لم يزره في أحلامه قط.

لكنه شعر كأنه يحفظه عن ظهر قلب.

- حانت اللحظة أيها الأخير .. متسقط في البئر بلا حول ولا قوة

.. وساعتها سأمر البئر بلا عودة.

ثم يتحول الصوت ويبح وينتشر في أذنه كفحيح ألف حية.

- بعد أن أمحو الأثر .. أمحوه بلا عودة.

يحاول الالتفات فلا يستطيع، وكان يدين قويتين تمسكان بجسده

فتمنعه من الالتفات.

لكن نعامة سوداء تقف على مرمى بصره، تصرخ بصوت رفيع.

- قاوم يا حارس .. قاوم ولا تستسلم.

فيجيبها الصوت المبحوح الخارج من خلفه:

- لا فائدة من المقاومة يا حاملة الميزان.

وطائر أبي منجل يتوقف عن النقر وينظر له في سكون، ثم يتردد الصوت:

- قاوم أيها الأخير .. وافعل ما عليك فعله.

لكنه لا يقوى على المقاومة.

لا يقوى على الالتفاف، لا يقوى على التملص من القبضتين اللتين تمسكان بكتفه.

ويسمع قرقرة الحداة فوق البئر.

قرقرة اقرب إلى الصراخ والعويل.

لا يدري لماذا شعر بأنه هو المختص بالعويل.

بينما الصوت الثعالي يبت السهم في عقله:

- لا فائدة من المقاومة أيها الملكي .. لا فائدة من كل ما فعلته ..

سأدمر البئر وأمحو الأثر.

- افعل ما عليك فعله.

والحدأة تواصل العويل.

وطائر أبي منجل ينقر بمنقاره في قلبه.

- استيقظ أيها المبارك .. فما زال أمامك الكثير

وفي الأفق المظلم داخل البئر اللانهائية، يرى وجه سيف يبتسم.

ويرى وجه محمود غنيم عابثًا مهمومًا.

وطائر أبي منجل يدون شيئًا في دفتر كبير يمتد إلى ما لا نهاية.

- لا تقاوم .. فقد أنتهى دورك

ومن بين الأصوات المضطربة في حلمه، جاءه صوت منهك عجوز
ينادي بلا انقطاع:

- محمد .. أصحى يا محمد.

حاول أن يتجاهل الصوت، لكن البئر راحت تهتز:

- محمد .. أصحى يا ابني.

وراحت الأحجار تتساقط فوق رأسه.

وهو يصرخ.

يصرخ.

يصرخ.

ثم أفاق وكأنه لم يكن هناك.

وأمام عينيه المنهكتين، وجسده الغارق في العرق البارد، رأى وجه

سعاد المنتفخ بالتجاعيد تردد:

- اصحى يا محمد .. اصحى.

هرش فروة رأسه في عنف، ثم وضع يده على قلبه ليشعر وكان
منقار الطائر ما يزال ينفذ قلبه:

- في ايه يا سعاد .. في ايه؟

نظرت له سعاد نظرة مطولة وقالت هامسة:

- في اثنين طباط شكلهم مخيف واقفين برة عايزينك ..
والموضوع شكله ما يطمنش.

- ما يطمنش ازاي يعني؟

- بيقولوا إن معاهم أمر نيابة بالقبض عليك.

ثم صمتت قليلا وهي تنظر خلفها، وأمام عينيها الجاحظتين قالت:

- هيقبضوا عليك ليه يا محمد .. أنت عملت ايه يا ابني؟

وكانما عاد للبئر.

راح صوت سعاد يتردد..

ويتردد..

ويتردد في رأسه بلا انقطاع.

كأنه قادم من قاع البئر نفسها!

المشهد العاشر

نهار - خارجي

مدينة منف

التاسع من بؤونة عام ثلاثمائة واثنان وأربعون قبل الميلاد
- ابتعدوا تسلموا.

تحتوي يردد الكلمات، ويكررها بلا توقف، بينما البرابرة ذوو
الذقون المضفرة، والعيون كثيفة الرموش، التي تعلوها حواجب
ثقيلة تمنحها مظهرًا مربعًا فظًا، يشهرون رماحهم ذات الرؤوس
المعدنية المثلثة.

البرابرة المخربون، مرتزقة أربشير، الذين يدعون التوحيد وهم
يحرقون ويحطمون بيوت الرب الواحد.
والآن، يأتون إلى منزل بتاح، عازمين على إنهاء كل شيء.

- ابتعدوا تسلموا ..

يقف تحوتي منتصبًا قويًا، تبرز عروقه الصلبة، وتتوتر عضلاته
الصغيرة القوية، وعلى رأسه قناعه ذو المنقار الحاد، وحول جسده
يسطع ذلك الضوء الرمادي المشع.

- لا فالدة يا بني .. سوف يتكاثر عليك البرابرة .. ولن تقدر عليهم
بمفردك.

تهمس إمت المقدمة بالكلمات في رأسها، فتصل الكلمات إلى عقل
تحتوي المتقدم على الجميع، وإلى رأس ماعت الواقفة فوق سطح
بيت المبارك بتاح، وإلى رأسي، وأنا أقف فوق تلك الصخرة وفي
يدي عصاي ذات الراميين.

- علينا أن نحمي بئر بتاح .. فبدونه نشيخ ونهلك .. وتهلك كيمت
بلا أبناء كيمت.

كدت أقول لإمت الفاضلة أن كيمت هلكت يوم راح إخوتنا يدعون
الألوهية والقدمية، ثم هربوا إلى الجنوب تاركين بيت بتاح المبارك،
تابع رسول الرب، عرضة لبطش البرابرة القادمين من خلف النهر
المعكوس.

- ابتعدوا تسلموا.

ما زال تحوتي يشع نورًا رماديًا، وعيناه الواسعتان كاملتا السواد
تشعان بريقًا غاضبًا.

ومن خلف الرماح، والخيل قصيرة الأرجل كثيفة الشعر والسيوف
المستطيلة الفضية، ارتفع صوت روماس الأخميني يصيح:

- أظن أننا سنخاف من رأس الطائر تلك أيها العجوز .. ابتعد
وارحل كما رحل سابقوك .. أو تعاون كما تعاون عمك القادم من
الغرب؟

إذن فهذا ما حدث.

كان لا بد أن تفهم يا أبو، وأن تدرك أن الوغد القادم من الغرب،
الملعون قاتل أخيه وغاصب ملكه، راعي الشياطين ومربي الأفاعي
ومثير رياح الصحراء، الملعون المارق مت، هو من باع البرابرة سر
بئر بتاح.

وهو الآن من يقف خلف صفوف البرابرة، يبتسم ابتسامته العلية
الساخرة:

- أنت تعرف يا ابن أخي .. لا أخلاق في الحرب .. لا أخلاق في
الحرب.

يتردد صوته الكريه الخبيث في جنبات عقلي، فيثير تقززي.

ولك أن تتخيل ما يمكن أن يجعل قارئ الموتى يتقززا!

- تباع أبناء إخوتك وأبناء عمك .. وتكلمني عن الحرب والأخلاق ..
وماذا سيمنحوك يا شيطان الغرب .. وأنت ستفقد الخلود عندما
يدمرون بيت بتاح .. ويريمون البئر.

- أنت تعرف .. وتحوتي يعرف .. وتلك الحداة العجوز تعرف.

ثم انطلقت ضحكته الخبيثة المكنومة تدوي في أذني كصليل
خيول البرابرة. بينما تصرخ ماعت في غضب:

- أين جيش ذلك المافون نخت أبو .. هل هرب هو الآخر كما
هرب الخونة والجبناء؟

وما هو جيش نخت أبو؟ جيش من المرتزقة القادمين من الشمال،

يقاتلون من أجل الذهب والفضة، فماذا تنتظر منهم؟

لكننا لا نرحل، لا نرحل، نحن على عهد المبارك الراقد جوار البئر
البئر التي..

- أنبو .. اسمعني يا صديقي.

أظلمت الدنيا، ثم وجدت نفسي سابحاً بلا حراك في فضاء أزرق
لامع، تملأه نجوم صفراء لامعة.

وفي الأفق، يجلس تحوتي على الهواء.

كيف يجلس أحد على الهواء؟

ربما لو رأيتم تحوتي، لعرفتم.

- ماذا تفعل يا أخي .. لماذا نحن هنا؟

- اسمع جيداً ما أقوله لك يا أنبو.

تدور النجوم الصفراء من حولي، وتدور حول رأسي الذي يدور
حول نفسه.

- ماذا تفعل يا تحوتي بحق السماء؟ لماذا تستخدم محرك الآن
معي؟

- رهفة البئر .. متحصل على رهفة البئر الآن .. ثم ستأتي كل ألف
عام ..

- لن يبقى أحد منا لمائة عام يا أخي.. سيدمر هؤلاء البرابرة بيت

بتاح .. وميردمون البئر .. وميقتلوننا بلا رحمة.

يبتسم تحوتي، ثم يشع نوره الرمادي الخافت، ثم يقول مغمضاً
عينيه الواسعتين:

- مترحل يا ابن أوزير .. مترحل إلى حيث لا يدركك البرابرة ..
وإلى حيث لا يدركك الملعون القادم من الغرب .. ثم تعود عندما
يحين وقت العودة.

- لن أرحل يا تحوتي .. لن أرحل ولن أترك أرضي وأرض أبي ..
صوت صقر محلق، صقر أعرفه جيداً يردد في مهابة:
- أنت لا تفهم يا أخي.

حور، حور الذي ظننته هرب موليا الألبان أراه الآن في خيالي، لا
ليس خيالاً بل حلقاً، لا ليس حلقاً بل

- لا تجهد عقلك في المحاولة يا ابن عمي.

- ماذا تفعل بي يا تحوتي .. بل ماذا ستفعل بي يا تحوتي؟

- سأنفذ وصية المبارك أوزير.

أغمض عيني محاولاً الخروج من هذا الأثين أحاول أن أهرب، أن
أحرر ساقي وذراعي، لكن لا شيء يتحرك.

طائر يقف على ساق واحدة، ينظر لي بعينه عديمتي البياض.

بينما الصوت المراهق الفتى يصرخ:

- اذهب يا أبو .. اذهب كما أوصى أبي.

- وبماذا أوصى سيدي؟

- بأن ترحل عندما يحين الوقت .. لأنك ستكون الأخير .. الأخير الذي يتم كل شيء.

أحاول الصراخ لكني لا أسمع إلا صوت الصمت، وعيناي لا تبصران إلا عيون الطير الواقف أمامي، وصقر صغير فتى يحوم حول رأسي.
بينما حدأة بيضاء تحط فوق كتفي، ونعامة كالحة السواد تحط على الكتف الثاني.

كيف تكون الحدأة بيضاء؟؟

بل كيف تحط النعامة على كتفي؟

- ارحل يا بني .. ارحل حتى يحين الوقت للعودة.

- لا .. لا يا سيدتي المباركة .. لن أترك أرضي وأرض بتاح وأرض أوزير .. لن ...

- استمع لما أقوله لك يا فتى.

تصرخ الحدأة في غضب، وتغرز منقارها في طرف أنفي، فأصرخ بلا صوت.

- اذهب يا أبو .. استمع لما أقوله أنا .. تحوتي ابن رع ..

ثم راح صوته يهدر في الفراغ الأزرق اللامع:

- متذهب الآن ومعك رشقات البثر، وستأتي بعد أن تنتهي لما بدأت منه .. لتتم الأمر.. ثم تدفن إلى جوار أبيك أوزير ..

الحدأة البيضاء تهمس في أذني بحان:

- واحذري يا بني .. احذري من الشيطان اللعين .. ومن رياحه القادمة من الغرب .. احذري منه فإنه سيعود .. سيعود كما ستعود أنت.

ثم صرخت الحدأة، ونعق الطير الأبيض، وصرخت النعامة السوداء، وحلق الصقر الشاب مسرعًا.

وأنا أصرخ رافضًا، ساخطًا، حلقًا، غاضبًا.

والطير الأبيض يمسكني من رقبتني، ويحلق بي مبتعدًا في السماء الزرقاء اللامعة.

- لن أرحل .. حرمني يا تحوتي .. حرمني يا تحوتي .. لن أرحل .. لن أرحل..

ورحت أصرخ .. أصرخ .. أصرخ.

بينما ترفعني الرياح وتلقفني الطيور لبعضها البعض.

وخلف الرماح ذات الرؤوس المثلثة اللامعة، والسيوف الفضية، وصهيل الخيل المشعرة، وأمام بيت بتاح.

يصرخ روماس:

- اهجموا يا فرسان أريشير

وفي هذه اللحظة، وأمام الرماح ذات الرؤوس المثلثة، والعيون
المندهشة الجاحظة، والقلوب التي راحت ترتعش خالفة.

ارتفع جسد تحوتي محلقا في الهواء.

ارتفع متألقا في ضوءه الرمادي، ويداه الرفيعتان منتصبتان إلى
جوار جسده، والوهج في وجهه يعمي الأبصار.

وأمام العيون الخالفة، والقلوب المرتعشة.

ظهر الشيطان القادم من الغرب.

وحلق بجسده في الهواء محمولا برياحه السامة المترية، وهو
يصيح في وجه تحوتي:

- لا تحاول يا ابن أخي .. قضي الأمر.

لكن تحوتي يغمض عينه، ويرفع يديه في الهواء، ويتألق الوهج
حوله، وصوته الحاد يتردد في جنبات الكون كله.

فلتحل لعنة الرب على الشياطين والخولة ..

ثم يفتح عينيه ويصرخ غاضبا:

- الآن يا حور.

الصقر الأعور الغاضب يصرخ، فتهتز الجبال، وترتج الأرض، ويلمع
ألف ألف برق في جنبات السماء.

تماما كما فعل عندما عاد لينتقم لأبيه المبارك من عمه الخائن.

العم الذي يصرخ غاضبًا:

- ارموا البثر اللعينة .. لا تتركوا منها قطرة واحدة.

ويصيح الصقر الاعور ثم يهجم بلا رحمة.

بينما صرخت إمت المباركة.

- لم تتعدوا .. فلن تسلموا .. فلتحل لعنة الرب ..

ثم راحت تدمدم بكلمات تتردد في جنبات السماء كترانيم الشعراء.

- مبارك أنت يا ابن أوزير .. مبارك أنت يا ابن امك .. فلتضرب

ولتضرب بقوة .. لتحل لعنة الرب على شياطين الصحراء.

ثم صرخت الحداة العجوز

وقعع الصقر الفتى.

وأطلقت النعامة السوداء زمارها الغاضب.

وتوهج تحوتي.

توهج كالف شمس مشرقة غاضبة.

- بقوة الرب الجبار .. اضرب أعداءك فلا تترك منهم أحدًا.

ثم انتهى كل شيء

لنتهى إلى الأبد

يتبع.....